مدخل إلى رسالة الحَواري يعقوب

من المرجَّح أنّ الحَواري يعقوب الصدّيق هو كاتب هذه الرّسالة، ويرى البعضُ أنّه أخو سيّدنا عيسى المسيح (سلامه علينا) من أمّه مريم، ويرى البعض الآخر أنّه أحد أقربائه فقط (انظر متّى 13: 55، مرقس 6: 3، غلاطية 1: 19). وقد كتبها في الفترة الممتدّة بين سنة 40 للميلاد والفترة التي اندلعت فيها الثورةِ اليهوديّةِ ضدّ الرّومان بِدايةً من سنة 66 للميلاد. كان يعقوب من القلائل الذين تجلّى لهم سيّدنا المسيح بعد انبعاثه من الموت (انظر رسالة كورنتوس الأولى 15: 7)، ومع مرور الزّمن أصبح قائدا لأتباع السيّد المسيح في القدس (انظر سيرة الحواريّين 12: 17؛ 15: 13-21؛ 21: 18؛ رسالة غلاطية 2: 9، 12)، إلى أن جاء أمْرُ كبير الأحبار أنانوس بِرَجمه حتّى الموتِ سنة 62 للميلاد. وفي الوقت الذي كتب فيه يعقوب هذه الرّسالةَ (أي أواخر الأربعيناتِ أَو أوائِل الخمسيناتِ بعد الميلاد)، كان أغلب المؤمنين بالسيّد المسيح يهودا، ولا شكّ أنّ الحواري يعقوب توقّع أنّ العدد القليل من المؤمنين من سائر الأمم سيكونون تحت عنايةِ الأغلبيّة اليهوديّة، خاصّة وأنّ دعوة الحَواري بولس إلى الإيمانِ بالسيّد المسيح بين غير اليهود لا تزال في بداياتها.

كان أغلب سكانِ فلسطين في ذلك الوقت من صغار الفلاحين. وقد أجبَرَ الأثرياء عددا كبيرا منهم على التخلّي عن أراضيهم، فأصبحوا مجرّد عمّال أَو فلاحين مستأجَرين، كما تعرّضوا إلي الاستغلال من قبل الأغنياء وخاصّة الأرستقراطيّة اليهوديّة والنخبة الدينيّة في أغلب الأحيان. وكان مُعظَم من آمن من اليهود بالسيّد المسيح في فلسطين من الفقراء في تلك الفترة. فكان من الطّبيعي أن يشعر هؤلاء بالاستياء من الأغنياء الذين سلبوهم أراضيهم مرّات عديدة، وظلموهم عندما استخدموهم كأجراء. كما تعرّضوا إلى الاضطهاد من النخبة الدينية، وهو ما دفع ببعض المؤمنين إلى الهروب إلى بلدانِ أخرى.

لقد أنتج صراعُ الطّبقات في المجتمع اليهوديِ صداما بين الحزب القومي

للمتحمّسين (أو الغيورين) وبين مجموعات النّخبة التي تعاملت مع الرّومان المحتلّين. وفي زمن كتابة هذه الرّسالة أشتدّ تأثير المتحمّسين وزعموا أنّ الله يطلب من اليهود أَن يكونوا دعاةَ عنف تحقيقا لمرضاته تعالى، أمّا المؤمنون بالسيّد المسيح في فلسطين، فكانوا يشعرون أنّه لا خيار أمامهم إلاّ التّذمّر والاستياء والتحزّب، وأنّ كلّ ما يحيط بهم يدفعهم للالتحاق بصفوف المتحمّسين. وقد ادّعى المتحمّسون انحيازَهم إلى صفوف الفقراء، وبذلك استقطبوا المؤمنين الفقراء.

وكان الحواري يعقوب شديد القلق على ما قد يُقدِم عليه إخوانُه المؤمنون داخل فلسطين أو خارجها وخاصّة عندما رأى التأثير المتزايد لطائفة المتحمّسين عليهم. لقد كان لليهود الذين يعيشون في البلدانِ الأجنبيّة صلات وثيقة بفلسطين وتأثّروا تأثّرا عميقا بالاتّجاهات الدّينيّة والسّياسيّة الموجودة فيها، أمّا يعقوب فيدعو في هذه الرّسالة إلى الشّفقة والرّحمة على المسكين، وفي المقابل يُدين بشدّة العقائد الباطلة التي يدعو إليها المتحمّسون. فقد دعا المؤمنين ألاّ يَتّكلوا على أمور هذه الدّنيا وخاصّة المال، ودعاهم إلى نبذ الكراهيّة والنّزاعِ والشّتائم والغضب، كما وبّخ المرشدين الذين ينتمون إلى جماعات المؤمنين بالسيّد المسيح، ويسعَون إلى جَمع أكبر عدد من الأتباع في صفوفهم، ويخاطبون غيرهم من المؤمنين بقسوة وغلظة. ويبدو قلقُ يعقوب واضحا بشأن تراجع وحدة الجماعة وفتور المحبّة واللّطف فيها. وكان يدعو جماعة السيّد المسيح إلى الوحدة والرّحمة وإدانة الظلم، ويرفض في الوقت نفسه المشاركةَ في العنف. ويُعلن أنّ عدالة الله ستَحُلّ في الوقت المناسب.

رسالة الحَواريّ يعقوب
إلى أحباب الله

بسم الله تبارك وتعالى

رسالة الحَواريّ يعقوب
إلى أحباب الله

1

الفصل الأوّل

تحيّة

[1] هذِهِ الرّسالةُ مِن يَعقوبَ، خادِمِ اللهِ ورَسولِهِ سَيِّدِنا عيسى المَسيحِ. أُهدي سَلامي إلى كُلِّ مَن آمَنَ بالسَّيِّدِ المَسيحِ مِن أسباطِ بَني يَعقوبَ الاثنَي عَشَرَ المُشتَّتينَ في أنحاءِ العالَمِ.(١)

الإيمان والصّبر

[2] يا إخوتي في اللهِ، لقَد بَلَغَني أنّكُم تُواجِهونَ أنواعًا شَتَّى مِن البَلاءِ والإغراءاتِ، ولكِن رَغمَ ذلِكَ عليكُم أن تَفرَحوا [3] وأن تَعلَموا أنّكُم إذا نَجَحتُم

---

(١) قبلَ زمن الحواري يعقوب بقرون عديدة، تَشتّتَ معظم اليهود في الأرض واختفَوا إثر نفْيِهم على يد القوّات الأشوريّة المنتصرة سنة 722 قبل الميلاد، وهم عشرة قبائل من مجموع قبائل بني يعقوب الإثنتي عشرة الأصليّة. وقد كان أغلب الشعب اليهودي يَعتقد أنّ تلك القبائل المفقودة ستعود عند قيام السّاعة كما كانت من قبلُ. ويرى يعقوب أنّ أتباع سيّدنا عيسى من اليهود الذين وصلتهم هذه الرّسالةُ هم الورثة الحقيقيّون لشعب بني يعقوب، لأنّ إعادة تأسيس القبائل الإثنتي عشرة هي من مهامّ السيّد المسيح (انظر كتاب النّبي إرميا 3: 18، وكتاب النّبي حزقيال (أو ذو الكفل) 37: 19-24). ورغم أنّ العديد من القضايا التي تناولها يعقوب كانت من المعضلات التي واجهتْ اليهود في فلسطين، فقد اهتمّ بها كثيرٌ من يهود الشّتات أيضا.

في امتِحانِ إيمانِكُم، فستَصمُدونَ بِهِ في تَجارِبَ أُخرى. [4] نعم، كونوا دائِمًا صامِدينَ ولا تَفشَلوا لِكَي تُصبِحوا صالِحينَ راشِدينَ لا يَنقُصُكُم شَيءٌ.

[5] فإذا شَعَرَ أحَدُكُم أنّهُ في حاجةٍ إلى حِكمةٍ وإرشادٍ مِن اللهِ أثناءَ الامتِحانِ، فعَليهِ أن يَسألَ اللهَ، لأنّهُ كَريمٌ مُجيبٌ لِلدَّعواتِ، ولا يَرُدُّ سائِلاً إذا سألهُ، ولا يَلومُ أحَدًا. [6] ولكن عَليهِ أن يَسألَ اللهَ مُخلِصًا في إيمانِهِ، مُستَعِدًّا لاتّباعِ إرشادِهِ تَعالى. فإنّ المُرتابَ كَمَوجِ البَحرِ تَقذِفُهُ الرِّياحُ وتَدفَعُهُ، [7-8] فإن تَرَدَّدتَ فَوَلاؤُكَ مُزدَوِجٌ بَينَ وَلاءٍ للهِ ووَلاءٍ لِلدُّنيا، وأنتَ مُتَقَلِّبٌ في أَعمالِكَ كُلِّها، فَلا تَظُنَّنَّ أنّ اللهَ يَستَجيبُ لِدُعائِكَ أبَدًا!

[9] إخوتي المؤمنينَ: إنّ على الأخِ المُستَضعَفِ المِسكينِ أن يَفتَخِرَ أنّ اللهَ جَعَلَهُ في مَقامٍ رَفيعٍ، [10] وعلى الغَنيِّ أن يَفتَخِرَ أيضًا لأنّهُ تَعالى جَعَلَهُ في مَقامٍ وَضيعٍ. إنّ مَثَلَ مالِ الغَنيِّ كَزَهرِ العُشبِ زائِلٌ مَعدومٌ، [11] فعِندَما تَشتَدُّ حَرارةُ الشَّمسِ يَذبُلُ العُشبُ، ويَسقُطُ زَهرُهُ ويَزولُ بَهاؤُهُ. كَذا يَفنى جاهُ الغَنيِّ وكُلُّ ما سَعى إليهِ!

[12] هَنيئًا لِمَن يَتَمَسَّكُ بإيمانِهِ حينَ يُواجِهُ البَلاءَ والإغراءَ، فإذا نَجَحَ في الامتِحانِ فإنّهُ سيَنالُ مِنَ اللهِ بَعدَ فَوزِهِ إكليلَ الحَياةِ الخالِدةِ الّذي وَعَدَ بِهِ كُلَّ الّذينَ يُحِبّونَهُ. [13] فإنْ تَعَرَّضتُم يا أحِبّائي للإغراءِ، فلا تَلوموا اللهَ على ذلِكَ! إنّ الشَّرَّ لا يُمكِنُهُ أن يُغوي اللهَ، واللهُ لا يُغوي أحَدًا. [14] فلئِن وَقَعَ أحَدُكُم في الإغواءِ، فذلِكَ بِسَبَبِ ما في نَفسِهِ مِن أهواءٍ، تَقودُهُ فترميهِ في مَهاوي الأخطاءِ. [15] فإذا استَسلَمتَ للإغراءَاتِ، فإنّها ستَحبَلُ وتُنجِبُ الإثمَ، والإثمُ إذا ما كَبُرَ، وَلَّدَ الهَلاكَ!

[16] إخوتي الأَحِبّاءَ، لا تَنخَدِعوا بهذا المَوضوعِ، ولا تَظُنّوا أنّ اللهَ يُرسِلُ إليكُم الشَّرَّ والإغواءَ! [17] بل إنّ كُلَّ عَطاءٍ صالِحٍ وكُلَّ هِبةٍ كامِلةٍ تَنزيلٌ مِن عِندِ اللهِ الأبِ الرَّحيمِ، خالِقِ أنوارِ السَّماءِ. ولئِن دارَت هذِهِ الأفلاكُ وتَغَيَّرَت مِنها الأشكالُ، فَاللهُ لا يَتَغَيَّرُ أبَدًا![٢] [18] وقد جَعَلَنا مِن أهلِ بَيتِهِ برِسالةِ الحَقِّ

---

[٢] يستنكر الحواري يعقوب هنا أن لا يباليَ الله بأمور البشر أو يتردّد ويتقلّب في مواقفه تجاههم، كما ظنّ بعض اليهود في زمنه. ويؤكّد أيضا أنّ الابتلاءات ليست محض صدفة، بل هي تدبير من الله الأمين في وعوده واللّطيف بعباده.

كَما شاءَ، لِنُصبِحَ مِن بَواكيرِ خَلقِهِ الجَديدِ.[٣]

السّمع والطّاعة

19 إخوتي الأحبَّاءَ، اعلَموا أنّهُ على كُلِّ واحِدٍ مِنكُم أن يَستَمِعَ إلى الآخَرينَ بعِنايةٍ وصَبرٍ، فيَتَأنَّى قَبلَ الكَلامِ، ولا يُسارِعَ إلى الغَضَبِ. 20 فمَن يَستَسلِمُ للغَضَبِ يَحيدُ بِغَضَبِهِ عَن مَرضاةِ اللهِ.[٤] 21 إذَن، خَلِّصوا أنفُسَكُم مِن كُلِّ نَجاسةٍ ومِن كُلِّ ما تَبَقَّى في حَياتِكُم مِن حِقدٍ، وتَقَبَّلوا بِصَدرٍ رَحبٍ رِسالةَ اللهِ الّتي زَرَعَها في قُلوبِكُم. إنّكُم بها لَقادِرونَ على الفَوزِ بِالنَّجاةِ.

22 لا تَكتَفُوا بِسَماعِ رِسالةِ اللهِ، بَل اعمَلوا بها. ولا تَخدَعوا أنفُسَكُم أنّكُم تَنجُونَ بِمُجَرَّدِ سَماعِها. 23 إنّ مَثَلَ الّذينَ يَسمَعونَ الرِّسالةَ ولا يَعمَلونَ بها، كَمَثَلِ الغافِلينَ الَّذينَ يَشخَصونَ إلى وُجوهِهِم في المِرآةِ، 24 ثُمّ حينَ يَبتَعِدونَ عَنها يَنسَونَها! 25 أمّا الّذينَ يَتَأَمَّلونَ في رِسالةِ سَيِّدِنا المَسيحِ، وهي شَريعةُ اللهِ الكامِلةُ الّتي يَتَحَرَّرونَ بها، ويَحرِصونَ على تَطبيقِها، فإنّهُم لا يَنسَونَ ما يَسمَعونَهُ بل بِهِ يَعمَلونَ، واللهُ يُبارِكُ عَمَلَهُم! 26 وإن ظَنَّ أحَدٌ أنّهُ مِن المُتَدَيِّنينَ، وهو لا يُمسِكُ لِسانَهُ عَن الكَلامِ الأثيمِ، فقَد خَدَعَ نَفسَهُ، ولا جَدوى مِن دِينِهِ! 27 إنّ الدِّينَ الحَقَّ الطّاهِرَ عِند اللهِ أبينا الرَّحيمِ يَتَجَلَّى في الاعتِناءِ بشُؤونِ اليَتامى والأرامِلِ في زَمَنِ عُسرِهِم، وفي صَوْنِ النّفسِ عن نَواجِسِ الدُّنيا.[٥]

---

[٣] وِفقاً لتعاليم التوراة في سفر اللاّويين 23: 10، كان اليهود يقدّمون كلّ سنة الحزمةَ الأولى من باكورة حصاد الشّعير إلى بيت الله في مدينة القدس. وقد كانت هذه الحزمة علامة على أنّ الحصاد سيتمّ بعد هذا القربان. كذلك شأنُ اليهود الأوائل الذين آمنوا بسيّدنا عيسى عندما كانوا فئة قليلة ثم انضمّ إليهم عددٌ كبير من غير اليهود.

[٤] كانت طائفة المتحمّسين تشجّع النّاس على الهجوم على الرّومان والطّبقة الأرستقراطية التّابعة لهم، لأنّهم اعتبروا أنّ الله جعلهم وسيلة ليُنزل بها غضبَه على هؤلاء. أمّا الحواري يعقوب فيؤكّد أنّ هذه الطّريقة ليست مناسبة كردّة فعل إزاء البلاء والمحن، ويدين أفعال المتحمّسين ودعواتهم إلى العنف.

[٥] يقول يعقوب إنّ الدّين الحقيقي يتناقض مع مفهوم الدّين لدى الثّوار اليهود، وهو مفهوم قائم على العنف والتشدّد، في حين أنّ الدّين الحقيقيّ يدعو إلى الدّفاع عن الضّعفاء في المجتمع، ويحثّ النّاس على تجنّب أخلاق أهل الدّنيا وطباعهم.

2

الفصل الثّاني

التّحذير من التحيّز

[1] يا إخواني، كَيفَ تَقولونَ إنّكُم مؤمنونَ بسَيِّدِنا عيسى المَسيحِ صاحِبِ الجَلالةِ في حينَ أنّكُم تَنحازونَ إلى بَعضِ النّاسِ دونَ غَيرِهِم؟ [2] لنَفتَرِضْ أنّ رَجُلاً مِنَ الأغنياءِ دَخَلَ عليكُم بِخَواتِمَ مِن ذَهَبٍ وثِيابٍ فاخِرةٍ، ودَخَلَ بَعدَهُ رَجُلٌ آخَرُ فَقيرٌ، يَرتَدي مَلابِسَ باليةً، [3] فلا يَجوزُ لكُم أبَدًا أن تُعامِلوا الغَنيَّ مُعامَلةً مُمَيَّزةً، وتَقولونَ لهُ: "أهلاً وسَهلاً، أقبِلْ وتَصَدَّرْ المَجلِسَ"، في حينَ تَقولونَ للفَقيرِ: "قِفْ مَكانَكَ، أوِ اقعُدْ عِندَ أقدامِنا!"[(١)] [4] أليسَ هذا التَّصَرُّفُ دَليلاً على أنّكُم تُمَيِّزونَ بَينَ النّاسِ، وأنّكمُ صِرتُم مِثلَ القُضاةِ الفاسِدينَ تُضمِرونَ نَوايا شِرّيرةً؟

[5] اسمَعوا يا إخوتي الأَحِبّاء: أَلا تَعلَمونَ أنّ اللهَ قد اختارَ في الدُّنيا المَساكينَ حَتّى يَغتَنوا بإيمانِهِم بِسَيِّدِنا المَسيحِ، وحَتّى يَكونوا وَرَثَةَ المَملَكةِ الّتي وَعَدَ بها مُحِبّيهِ؟[(٢)] [6] أمّا أنتُم فماذا تَعمَلونَ؟ إنّكُم تُهينونَ الفُقَراءَ وتَحتَرِمونَ الأثرياءَ، مَعَ أنّ الأثرياءَ يَظلِمونَكُم وَيَجُرّونَكُم إلى المَحاكِمِ! [7] أليسَ الأغنياءُ هُمُ الّذينَ يُهينونَ الاسمَ الشَّريفَ الّذي تَحمِلونَهُ، اسمَ سَيِّدِنا عيسى المَسيحِ الّذي إليهِ تَنتَسِبونَ؟

[8] ولقَد أوصانا مَولانا عيسى بالوَصيّةِ المَلَكيّةِ العُظمى، أن نُطيعَ ما جاءَ في الكِتابِ: "أحِبَّ جارَكَ كَما تُحِبُّ نَفسَكَ".[(٣)] وإنّكُم تُحسِنونَ إلى أنفُسِكُم إنْ اتَّبَعتُم هذِهِ الوَصيَّةَ. [9] أمّا إذا كُنتُم تُمَيِّزونَ بَعضَ النَّاسِ عن غَيرِهِم، فإنّكُم تَرتَكِبونَ ذَنبًا وقد أصبَحتُم حَسَبَ حُكمِ الشَّريعةِ مِن المُعتَدينَ.

---

(١) ربّما أراد أتباعُ السيّد المسيح الذين خاطبهم الحواري يعقوب أن يعاملوا أصحاب القوّة والغنى معاملةً خاصّة، اعتقادا منهم أنّ هؤلاء سيُوفّرون المال والحماية للمؤمنين.

(٢) تذكّرنا هذه الكلمات من يعقوب بكلمات سيّدنا عيسى في الإنجيل، لوقا 6: 20.

(٣) يقتبس الحواري يعقوب هنا من التوراة، من سفر اللاّويين 19: 18. وللمزيد من المعلومات عن هذا الموضوع انظر الإنجيل، متّى 5: 43-48.

10 واعلَموا أنّ مَن يُخالِفُ وَصيّةً واحِدةً مِن الشَّريعةِ، حَتّى وإن عَمِلَ بسائرِ الوَصايا، فإنّهُ مُذنِبٌ كَأنّما خالَفَ الوَصايا كُلّها.(٤) 11 لأنّ اللهَ قالَ في التَّوراةِ: "لا تَزْنِ"، وقالَ أيضًا: "لا تَقتُلْ بغَيرِ حَقٍّ". ورُبَّما أنّكَ لم تَزنِ، ولكِنْ إذا قَتَلتَ إنسانًا، فقَد خالَفتَ الشَّريعةَ كُلّها!(٥)

12 فتَذَكَّروا، أحبابي، أنّ اللهَ سيُحاسِبُكُم على كُلِّ أقوالِكُم وأفعالِكُم حَسَبَ طاعتِكُم لوَصيّةِ المَحَبّةِ، فإن أحبَبتُمُ الآخَرينَ كَما تُحِبّونَ أنفُسَكُم، فستَتَحَرَّرونَ مِن ذُنوبِكُم. 13 واذْكُروا أنّ اللهَ لن يَرحَمَ مَن لم يَرحَم غَيرَهُ يَومَ الحِسابِ. أمّا الرَّحيمُ فسَيَغدَقُ اللهُ عليهِ رَحمتَهُ ويؤمنُه مِن عِقابِهِ!

الإيمان بلا حسنات ميت

14 أيُّ فائدةٍ أيُّها الأحبابُ، إن رَدَّدَ أحَدُكُم أنّهُ مؤمنٌ، إذا كانَت أفعالَهُ لا تَدُلُّ على أنّهُ صادِقٌ؟ فهَل يَقدَرُ إيمانُهُ هذا أن يَجعَلَهُ مِن النّاجينَ؟ كَلاّ!(٦) 15 ولَئِن أتتْكُم إحدى المؤمناتِ أو جاءَكُم أحَدُ المؤمنينَ، وكانَت ثيابُهُ مُمَزَّقةً ولا يَملِكُ طَعامَ يَومِهِ، 16 فخاطَبتُموهُ قائلينَ: "اذهَبْ في أمانِ اللهِ! ستَحظى بما تَحتاجُهُ مِن لِباسٍ وطَعامٍ إن شاءَ اللهُ!" فأيُّ فائدةٍ سيَجنيها مِمّا تَقولونَ، وأنتُم تُمسِكونَ عَنهُ ما يَحتاجُ إليهِ؟ 17 كذا شأنُ الإيمانِ، فإذا لم يُؤَدِّ إلى العَمَلِ الصّالحِ، فهو إيمانٌ فانٍ!

18 وقَد يَحتَجُّ عليَّ أحَدُكُم قائلاً: "الأمرُ سَواءٌ في كُلِّ الأحوالِ، فبَعضُ النّاسِ يَملِكونَ الإيمانَ، وآخَرونَ يَعمَلونَ صالِحًا، واللهُ سيَقبَلُ كِلَيهِما!" فأُجيبُهُ: "إنّي عاجِزٌ عن رُؤيةِ الإيمانِ فيكَ دونَ رؤيةِ صالِحاتِكَ. أمّا أنا

---

(٤) كان الفقهاء اليهود يعلّمون النّاس أنّ الانتهاك المتعمَّد لأصغر الوصايا، هو بمثابة انتهاك للشّريعة كلّها.

(٥) يقتبس يعقوب هنا من التوراة. والاقتباس الأوّل مأخوذ من سفر الخروج 20: 14 وسفر التثنية 5: 18، بينما أخذ الاقتباس الثّاني من سفر الخروج 20: 13 وسفر التثنية 5: 17. وربّما لمّح يعقوب هنا إلى اليهود من طائفة المتحمّسين وغيرهم من المتمرّدين الذين كانوا لا يقربون الزّنى ولكنّهم لا يجدون حرجا في اغتيال اليهود العملاء للاحتلال الرّوماني.

(٦) من المحتمَل أنّ الحواري يعقوب قد استنكر موقفا شاعَ بين اليهود، وهو موقف قائم على المزج بين التّقوى والحماس الوطنيّ، وكلّ من يتبنّي هذا الموقفَ يُظهر التزامه بتعاليم التّوراة وكتب الأنبياء، بينما يسيطر عليه العنف والرّغبة في الهيمنة على الآخرين.

فسأُريكَ إيماني بصالِحِ أعمالي!" [19] أنتَ تؤمنُ وتَشهَدُ أنّهُ لا إلهَ إلاّ اللهُ. فقد أحسَنتَ! ولكنِ اعلَمْ أنّ الشَّياطينَ هُم أيضًا يؤمنونَ بهذا، ورَغمَ ذلِكَ يَرتَعِشونَ خَوفًا مِنَ العِقابِ!

[20] يا للغَباء! كَيفَ يَجهَلُ بَعضُكُم أنّ الإيمانَ بلا حَسَنات عَقيمٌ؟ [21] سأضرِبُ لكُم مَثَلاً يَتَضَمَّنُ شَرحًا لهذا الأمرِ: كَيفَ رَضِيَ اللهُ عن أبينا إبراهيمَ، وجَعَلَهُ مِن الصّالِحينَ؟ ألَم يَرضَ عَنهُ بعَمَلِهِ عِندَما قَدَّمَ ابنَهُ إسحَقَ على مَنَصَّةٍ ذَبيحًا للهِ؟[٧] [22] أفلا تُبصِرونَ كَيفَ عَمَلَ إيمانُهُ وأعمالَهُ مَعًا، وبالأعمالِ اكتَمَلَ إيمانُهُ؟ [23] وهذا ما تَعنيهِ التَّوراةُ بقَولِها: "آمَنَ إبراهيمُ بوَعدِ اللهِ فحَسَبَهُ تَعالى مَرضيًّا".[٨] وأصبَحَ يُدعى "خَليلَ اللهِ"، [24] فانظُروا كَيفَ يَكونُ الإنسانُ مَرضيًّا عِندَ اللهِ بحَسَناتِهِ، والإيمانُ وَحدَهُ لا يَكفي!

[25] ويُوجَدُ مِثالُ آخَرَ في قِصّةِ رِحابَ العاهِرةِ، فرَغمَ أنّها زانيةٌ، فقد رَضِيَ اللهُ عَنها برَحمتِهِ بسَبَبِ أعمالِها الصّالِحةِ، إذ رَحَّبَت باثنَينِ مِن رِجالِ النَّبيِّ موسى، وساعَدَتْهُما على الفِرارِ مِن مُطارَديهِما، ووَجَّهَتْهُما إلى طَريقٍ آخَرَ آمَنٍ.[٩] [26] فكَما أنّ الجِسمَ بِلا رُوحٍ مَيِّتٌ، فكذلِكَ الإيمانُ الخالي مِن الحَسَنات.

---

[٧] يحيل يعقوب إلى الواقعة المذكورة في التّوراة، سفر التكوين 22: 1-14.

[٨] التّوراة، سفر التكوين 15: 6.

[٩] وردت الواقعة التي يشير إليها يعقوب هنا في كتب الأنبياء في الفصل الثّاني من سفر يشوع. ولا يؤيّد يعقوب هنا السّلوك الذي كانت تتّبعه رِحاب، بينما يثني على إيمانها من خلال مساعدتها لعباد الله الصّالحين (انظر رسالة العبرانيين 11: 31).

3

الفصل الثّالث

ضبط اللّسان

1 يا إخوتي، يَجِبُ ألاّ يَكثُرَ بَينَكُم المُرشِدونَ للنّاسِ في دينِهِم. فإنّكُم تَعرِفونَ أنّنا نَحنُ المُرشِدينَ نَلقى حِسابًا أقسَى مِن حِسابِ سائرِ المؤمنينَ![1] 2 وإنّكُم تَعرِفونَ أنّنا جَميعًا مُعَرَّضونَ للوقوعِ في أخطاءٍ كَثيرةٍ. والّذي لا يُخطئ في كَلامِهِ مِن المُعَلِّمينَ المُرشدينَ فهو راشِدٌ وقادِرٌ على إرشادِ أعضاءِ أُمّةِ الجَسَدِ الواحِدِ كُلِّها.[2] 3 وسأُقَدِّمُ لكُم مِثالاً على ذلِكَ: فحِينَ نَضَعُ للخَيلِ اللِّجامَ الصَّغيرَ نَستَطيعُ أن نَقودَها بسُهولةٍ مَهما كانَ حَجمُها. 4 وكَذلِكَ يَستَطيعُ الرُّبّانُ قيادةَ السُّفُنِ الكَبيرةِ بِدَفةٍ صَغيرةٍ، رَغمَ الرِّياحِ القَويَّةِ الّتي تَدفَعُ أشرِعتَها. 5 هكذا هو أمرُ اللِّسانِ، فرَغمَ أنّهُ عُضوٌ صَغيرٌ، إلاّ أنّ النّاسَ يَتَفاخَرونَ بواسطَتِهِ بما أتَوهُ مِن عَمَلٍ كَبيرٍ! وانظُروا شأنَ شَرارةِ النّارِ الصَّغيرَةِ، كَيفَ تُحرِقُ غابةً كَبيرةً! 6 كذلِكَ اللِّسانُ، كَشُعلةِ النّارِ، إنّهُ مَصدَرُ كُلِّ أنواعِ الشُّرورِ المُنتَشَرةِ بَينَ المؤمنينَ. إنّهُ يُفسِدُ كُلَّ الجَماعةِ، ويُشعِلُ النَّارَ في ما بَينَهُم، وما هي إلاّ شَرارةٌ أُخِذَتْ مِن نارِ الجَحيمِ!

7 ولئن تَحَكَّمَ الإنسانُ في مَصيرِ أنواعِ الوُحوشِ والطُّيورِ والزَّواحِفِ وكائناتِ البِحارِ، 8 فإنّه يَعجِزُ عَن التَّحَكُّمِ في لِسانِهِ. فاللِّسانُ هو الشَّرُّ الّذي لا يَقَعُ تَحتَ سُلطانِ إنسانٍ! وهو إناءُ سُمٍّ قاتِلٍ، 9 فبِهِ نَحمَدُ رَبَّنا أبانا الرَّحمنَ، وبِهِ نَطلُبُ أن تَحُلَّ اللَّعنةُ على النّاسِ الّذينَ خَلَقَهمُ اللهُ ظِلَّهُ في

---

(١) يتحدّث الحواري يعقوب في هذا المقطع عن أولئك الذين يقدّمون أنفسهم كمرشدين طمعا في مركز اجتماعي ومقابل مادّي. فبعضهم كان يزعم إرشاد النّاس إلى هداية الله بينما كان يلقّنهم حكمة زائفة يعتنقها الثّوار اليهود، مثل الدّعوة إلى العنف والفتنة.

(٢) يستخدم يعقوب هنا كلمتي "الجسم" و"الأعضاء" في اللّغة اليونانيّة، وربّما أراد من ذلك مجازا جماعة المؤمنين بسيّدنا عيسى، أو ربّما قصد جسم الإنسان فقط. فإذا كان يعني جماعة المؤمنين فالآيتان 5-6 هما تحذير من الأذى المحتمل الذي سيصيب الجماعة بواسطة مرشد واحد ضالّ بينهم.

الأرضِ. [10] فبلِسانٍ واحِدٍ نَلفَظُ الحَمدَ واللَّعنات، وما هذا، إخوتي في اللهِ، بالأمرِ الرَّشيدِ![٣] [11] أفتُخرِجُ عَينٌ واحِدةٌ ماءً فُراتًا وماءً مالِحًا أُجاجًا؟ [12] وهل مِن شَجَرِ التّينِ نَغرِسُ الزَّيتونَ؟ أو هل يُمكِنُ أن نَجني التّينَ مِن الكَرَمِ؟ أم هل نَستَطيعُ أن نَشرَبَ مِنَ البَحرِ ماءً سَلسَبيلاً؟ إنّ هذا، يا إخواني، غَيرُ مَعقولٍ وغَيرُ مَقبولٍ!

الهداية الحقيقيّة

[13] وإذا وُجِدَ بَينَكُم مَن يَدَّعي أنّهُ مُرشِدٌ حَكيمٌ، وأنّ اللهَ يَهديهِ إلى الحَقِّ المُبين، فعليهِ أن يُبَرهِنَ على ذلِكَ بحَياتِهِ الصّالِحةِ، مِن خِلالِ أعمالٍ يأتيها بتَواضُعٍ نابِعٍ مِن حِكمةِ اللهِ.[٤] [14] أمّا إذا طَغى على قُلوبِكُم الحَسَدُ والتَّنافُسُ والتَّحَزُّبُ، فَلا تَفتَخِروا أنّ اللهَ قد هَداكُم، فتُنكِرونَ الحَقيقةَ.[٥] [15] فالّذينَ يَفعَلونَ هذا لا يَهتَدونَ بِحِكمةِ اللهِ. وإنّما أفكارُهُم دُنيويّةٌ، بَشَريّةٌ، شَيطانيّةٌ! [16] وحَيثُما يُوجَدُ الحَسَدُ والمُنافَسَةُ والتَّحَزُّبُ تَحُلُّ الفِتنةُ وأنواعُ الفَسادِ كُلِّهِ.

[17] أمّا إذا اهتَدى أحَدٌ بِحِكمةٍ حَقيقيّةٍ مِن عِندِ اللهِ، فهو لا رَيبَ طاهِرٌ حَليمٌ، واسِعُ الصَّدرِ سَمْحٌ كَريمٌ، مَليءٌ بفَضلِ اللهِ رَحمةً وحَسَناتٍ، لا نِفاقَ فيهِ ولا مُحاباةَ. [18] والّذينَ يَبذُرونَ بُذورَ السَّلام ويَسعَونَ إليهِ، يَحصُدونَ مَرضاةَ اللهِ!

---

[٣] رغم أنّ بعض اليهود قد اعتبروا لعنهم للأعداء أمرا مقبولا نابعا من الوطنيّة، فقد أعلن الحواري يعقوب أنّ اللّعنات لا تليق بمن يتعبّد الله.

[٤] كان المتحمّسون يعتبرون أنفسهم حكماء ومخلصين لدينهم بحثّهم النّاس على العنف والثّورة ضدّ الرّومان. وكانت شعبيتهم تزداد يوما بعد يوم، في زمن كتابة هذه الرّسالة بسبب تزايد الظّلم. وقد حثّ الحواري يعقوب الفقراءَ على انتظار العدالة من الله تعالى، وبالتحلّي بروح التّسامح كَردٍّ على العنف. وقد برهن الزّمن على أنّ يعقوب كان أكثر حكمةً من دعاة العنف الثّوري، وذلك عقب ثورة اليهود في فلسطين في الفترة الممتدّة بين سنة 66 إلى سنة 70 للميلاد عندما تمّ تخريب مدينة القدس، واستعباد كلّ من نجا من الموت.

[٥] المصطلح الذي يترجم عادة بكلمة "غيرة" هو إشارة إلى فكرة الزعيم الذي يعتبر نفسه غيورا أو متحمّسا للحقيقة، ويدخل في منافسة حادّة مع زملائه المتديّنين بهذا الشأن. أما المصطلح الذي يترجم أحيانا بـ"الأنانية" فهو يشير إلى طموح أولئك الزعماء لكسب أتباعٍ خاصّين بهم، ممّا يفسح الطريق أمام الفكر الطائفي.

4

الفصل الرّابع

التقرّب من الله

1 لِماذا كُلُّ هذا النِّزاعِ والخِصامِ بَينَ جَماعاتِكُم؟[٦] أَلَيسَ مِن الأهواءِ والحَسَدِ ما يُؤدّي إلى خِصامٍ عَنيفٍ بَينَ أعضَائِكُم؟ 2 إنّكُم تَشتَهونَ أمرًا فتَسعَونَ إليهِ حتّى تَحصُلوا عليهِ وبسَبَبِهِ تَقتُلونَ. وتَحسُدونَ غَيرَكُم، فإذا عَجِزتُم عَن نَيلِ ما تَرغَبونَهُ، تُخاصِمونَ وتُقاتِلونَ حَدَّ افتِكاكِهِ مِن أصحابِهِ! فهَل عَلِمتُم السَّبَبَ الّذي يَحولُ دونَ حُصولِكُم عليهِ؟ لأنّكُم لا تَطلُبونَهُ مِن اللهِ طَبعًا! 3 حَتّى وإن طَلَبتُم مِنهُ أمرًا، فإنّهُ لا يُعطِيكُم إيّاهُ، لأنّ نواياكُم سَيِّئَةٌ، وتَسعونَ إلى إرضاءِ أنفُسِكُم فقط.

4 فأنتُم خائِنونَ كَزَوجَةٍ زانيةٍ! أفلا تَعلَمونَ أنّ في حُبِّ الدُّنيا عَداوةً للهِ؟! أجل، إنّ عاشِقَ الدُّنيا عَدوٌّ للهِ! 5 ألا تَفهَمونَ ما يَعنيهِ الكِتابُ إذ يَقولُ: "إنّ الرُّوحَ الّتي حَلَّت فينا بأمرٍ مِن اللهِ تَغارُ علينا وتَدفَعُنا أن نَكونَ مُخلِصينَ"؟ 6 ولكنّ اللهَ بفَضلِ إيمانِنا بِهِ، يَمنَحُنا قوَّةً لِكَي نَترُكَ الشَّهَواتِ الدُّنيويّةَ، كَما جاءَ في الكِتابِ أيضًا: "يَرُدُّ اللهُ المُتَكَبِّرينَ ويُنعِمُ على المُتَواضِعينَ".[٧]

7 حَسَنًا، أسلِموا للهِ بخُضوعٍ، وقاوِموا إبليسَ، فيَهرُبَ مِنكُم. 8 أقبِلوا إلى اللهِ، يُقبِل إليكُم. واغسِلوا أيدِيَكُم مِن ذُنوبِكُم وشُرورِكُم، أيُّها الخَطّاؤونَ، وطَهِّرُوا قُلوبَكُم يا مَن تَتَذَبذَبونَ بَينَ الوَلاءِ للهِ والوَلاءِ لِلدُّنيا![٨] 9 فاحزَنوا

---

[٦] يخبرنا الحواري يعقوب أنّ الله يهدي المؤمنين إلى السّلام لا إلى العنف الثّوري الذي دعت إليه طائفةُ المتحمّسين. كما يخاطب في هذا المقطع من رسالته الفقراءَ والمستضعفين، ويشجّعهم على الامتناع عن قتل مضطهديهم والاستيلاء على ممتلكاتهم ويدعوهم إلى رفض العمل الذي حثّهم عليه بعضُ رجال الدّين. أمّا يعقوب فقد خالف آراء الأغلبيّة السّاحقة من شعبه عندما دعا إلى تنجّب العنف.

[٧] يقتبس الحواري يعقوب هنا من التّرجمة اليونانيّة لسفر الأمثال 3: 34.

[٨] يدين يعقوب "التّذبذب"، فيطلب من القارئ أن يختار هداية الله المؤدّية إلى السّلام، أو سبيل الشّيطان المؤدّي إلى الكراهيّة والقتال. ويشير بـ "الأيدي" إلى أفعال النّاس، و"القلوب"

على سَيِّئاتِكُم، واصرُخوا، وابكُوا. واجعَلوا ضَحَكاتِكُم السَّخيفةَ تَنقَلِبُ نُواحًا، وفَرَحَكُم يَنقَلِبُ غَمًّا. [10] وتَواضَعوا للهِ، يَرفعْكُم إلى مَقامٍ رَفيعٍ!
[11] يا إخوتي، لا يَغتَبْ بَعضُكم بَعضًا. فمَن يُسِئ بكَلامِهِ إلى أخيهِ أَو يُدينَهُ، يُسِئ إلى أعظَمِ وَصيَّةٍ في الشَّريعةِ ويُدينُها.[٩] لأنّكَ عِندَما تُدين الشَّريعةَ تَجعَلُ نَفسَكَ قاضيًا عليها ولا تَعمَلُ بها! [12] في حينَ أنّ اللهَ وَحدَهُ الحَكَمُ العَدلُ مَن أنزَلَ الشَّريعةَ، وهو القادِرُ على جَعلِ الإنسانَ مِن الهالِكينَ أو مِن النّاجينَ! فمَن تَخالُ نَفسَكَ حَتّى تُدينَ جارَكَ؟

التّحذير من التّكبّر

[13] والآن انتَبِهوا يا مَن تَتَفَوَّهونَ مُتَكَبِّرينَ: "سنَذهَبُ اليَومَ أو غَدًا إلى ذلِكَ المَكانِ المَعلومِ، ونُقيمُ هُناكَ عامًا نُتاجِرُ فيهِ ونَربَحُ." [14] مَهلاً! كَيفَ تُخَطِّطونَ وأنتُم تَجهَلونَ ما سيَحدُثُ غَدًا؟! فما هي حَياتُكُم إذن؟ فأنتُم لَستُم سِوى ضَباب يَظهَرُ لفَترةٍ وَجيزةٍ ثُمَّ يَختَفي! [15] بل عليكُم أن تَقولوا: "إن شاءَ اللهُ، سَنَحيا وسنَفعَلُ هذا الأمرَ أو ذاكَ." [16] ولكنّكُم تَفتَخِرونَ بقُدرتِكُم، وتَعتَقِدونَ أنّكُم في غِنًى عَن عَونِ اللهِ. وما هذا الافتِخارُ إلاّ شَرٌّ مُبينٌ.
[17] فَمَن يَعرِفُ الخَيرَ ولا يَفعَلُهُ، فهو مُذنِبٌ.

5

الفصل الخامس

تحذير للأغنياء

[1] انتَبِهوا أيُّها الأغنياءُ! عليكُم بالبُكاءِ والنَّواحِ على ما سيَحُلُّ عليكُم مِن شَقاءٍ! [2] فكُنوزُكُم مَصيرُها التَّلَفُ وثِيابُكُم ستَلقى البِلى، [3] ويُصيبُ ذَهَبَكُم وفِضَّتَكُمُ الصَّدَأُ بِلا رَيبٍ. وسيَكونُ هذا الصَّدأُ دَليلاً على فَسادِكُم يَومَ الحِسابِ وسيُصبِحُ كَالنّارِ يَشوِي جُلودَكُم! إنّ المالَ الّذي جَمَعتُموهُ سيَكونُ

إلى أفكارهم.
(٩) يشير الحواري يعقوب هنا إلى وصيّة سيّدنا عيسى الملكيّة (الوارد ذكرها في 2: 8) وتنصّ على "أن تحبّ جارك كما تحبّ نفسك،" ويحثّهم ألاّ ينتهكوها.

دَليلاً على ظُلمِكُم يَومَ الدِّينِ! [4] فانظُروا إلى العُمّالِ الّذينَ يَشتَغِلونَ في حُقولِكُم ولم تَدفَعوا إليهِم أُجورَهُم، فهُم يَصرُخونَ للهِ، وحَتّى أُجورُهُم تَشتَكيكُم إلى اللهِ، وقد سَمِعَ اللهُ رَبُّ القوّاتِ صُراخَ الحاصِدينَ![1] [5] أنتُم تَعيشونَ في بَذخٍ ورَفاهيَةٍ في هذِهِ الدُّنيا، وأشبَعتُم نُفوسَكُم مِثلَ عِجلٍ مُهيَّإٍ لِيَومِ الذَّبحِ! [6] وحَكَمتُم على التَّقيِّ المُخلِصِ للهِ فقَتَلتُموهُ، مَعَ أنّهُ لم يُؤْذِ أحَدًا مِنكُم!

الصّبر والتّحمّل

[7] أمّا أنتُم يا إخوتي، فَاصبِروا على هذا الظُّلمِ حَتّى يَتَجَلّى سَيِّدُنا (سلامُهُ علينا)! وانظُروا كَيفَ يَترَقَّبُ الفَلاَّحونَ بصَبرٍ نُزولَ مَطَرِ الخَريفِ ومَطَرِ الرَّبيعِ. وبَعدَها يَترَقَّبونَ الثِّمارَ الثَّمينةَ الّتي تَجودُ بها أرضُهُم.[2] [8] فكونوا أنتُم أيضًا مِن الصّابِرينَ، وشُدُّوا أزرَكُم، لأنّ سَيِّدَنا المَسيحَ سيأتي بالنَّجاةِ قَريبًا! [9] يا إخوتي، لا يَتَذَمَّر أحَدُكُم مِن الآخَرِ، حَتّى لا يُحاسِبَكُم اللهُ على ذلِكَ! وانتَبِهوا! إنّ سَيِّدَنا عيسى، الحَكَمَ العادِلَ، واقِفٌ على الأبوابِ قَريبٌ مِنكُم! [10] إخواني، اِقتَدوا بالأنبياءِ الّذينَ تَحَمَّلوا الضّيقَ والعَذابَ مِنَ الأشرارِ حينَ أتوا برِسالةِ اللهِ، وكانوا في ذلِكَ مِنَ الصّابِرينَ! [11] واصبِروا مِثلَهُم، فما أعظَمَ هَناءَ الصّابِرينَ! أما سَمِعتُم بصَبرِ النَّبيِّ أيُّوبَ رَغمَ ما واجَهَهُ مِن كَربٍ، وكَيفَ استَجابَ اللهُ لهُ في النِّهايةِ؟ لأنّ اللهَ بعِبادِهِ رَحمنٌ رَحيمٌ.

[12] وإنّي لَمُحَذِّرُكُم يا إخوتي مِن أمرٍ خَطيرٍ: لا تَطلُبوا مِنَ اللهِ أن يَشهَدَ لصِحَّةِ ما تَقولونَ، حينَ تَتَكَلَّمونَ وتُقسِمونَ لَغوًا! فلا تَحلِفوا باللهِ ولا بالسَّماءِ ولا بالأرضِ ولا غَير ذلِكَ، بل قولوا الحَقَّ دائِمًا، حَتّى يَتَيَقَّنَ النّاسُ

---

[1] اعتمد عدد كبير من العمّال في فلسطين في القرن الأوّل للميلاد على أجرة يوميّة لشراء الطّعام لأنفسهم ولعائلاتهم، وكلّ تأخير في دفع الأجرة لهم يُعتبر حكما عليهم بالجوع. ويشير يعقوب هنا إلى أنّ التّوراة قد نهت عن تأخير في دفع أجور العمّال ولو ليلة واحدة، لأنّ الله ينتقم للعامل المظلوم (انظر التّوراة، سفر اللاّويين 19: 13 وسفر التّثنية 24: 14- 15).

[2] يؤكّد الحواري يعقوب لقرّائه أنّ مضطهِديهم سينالون عقابهم، لذلك عليهم بالصّبر وانتظار عدالة الله وتجنّب العنف. وهذا لا يعني سكوتهم عن الظّلم أو منعهم من المقاومة بطريقة سلميّة.

أنّكُم صادِقونَ حِينَ تَقولونَ "نعم" أو "لا". ولَئِن أقسَمتُم باللهِ بُهتانًا وزُورًا، فإنّ ذلِكَ يَكونُ عِندَ اللهِ ذَنبًا كَبيرًا، وإنّ اللهَ شَديدُ العِقابِ!

قوّة الدّعاء

13 ولَئِن مَرَّ أحَدُكُم بضيقٍ فلْيَدعُ اللهَ، ولَئِن فَرِحَ فليَحمَدِ اللهَ. 14 وإن كانَ فيكُم مَريضٌ، فعليهِ أن يُنادِيَ شُيوخَ الجَماعةِ، وسيَدعونَ لهُ، ويَدهَنونَهُ بالزَّيتِ بِاسمِ سَيِّدِنا (سلامُهُ علينا)، 15 فإنّ دُعاءَهُم بالإيمانِ لِلمَريضِ شِفاءٌ، وبفَضلِ هذا الدُّعاءِ يُقيمُهُ السَّيِّدُ المَسيحُ مُعافى! فإن كانَ مَرضُهُ بسَبَبِ ما ارتَكَبَهُ مِن ذُنوبٍ، فاللهُ سيَغفِرُ لهُ، 16 وليَعتَرِفْ بَعضُكُم لِبَعضٍ بذُنوبِهِ، وارفَعوا دُعاءَكُم مِن أجلِ بَعضِكُم حتّى يَشفيكُمُ اللهُ.

واسمَعوا، إنّ دُعاءَ الإنسانِ المَرضيِّ عِندَ اللهِ ذو وَقعٍ عَظيمٍ. 17 فقَد كانَ النَّبيُّ إلياسُ كَسائِرِ البَشَرِ، ودَعا اللهَ بِحَرارةٍ كَي لا يُنزِلَ الغَيثَ على الأرضِ. فحَلَّ الجَفافُ ثَلاثَ سِنين ونِصفَ سَنةٍ.(٣) 18 ثُمَّ عادَ ودَعا اللهَ، فأمطَرَتِ السَّماءُ، وأخرَجَتِ الأرضُ خَيرَها.(٤)

اهتداء الأخ الضّال

19-20 إخوتي في الإيمانِ اعلَموا عِلمَ اليَقينِ، إن كانَ أحَدُكُم ضالاً عن سَبيلِ الحَقِّ وأعادَهُ أخوهُ إلى الصِّراطِ المُستَقيمِ، فقد أنقَذَهُ مِنَ الهَلاكِ وخَلَّصَهُ مِن خَطايا كَثيرةٍ!

---

(٣) انظر كتب الأنبياء، سفر الملوك الأوّل 17: 1.

(٤) انظر كتب الأنبياء، سفر الملوك الأوّل فصل 18.